خمس خصائص متميزة للحضارة الصينية

سامي يانغ
مدير المركز الثقافي الصيني بالقاهرة

خلال سنوات كثيرة من الصداقة مع الأصدقاء العرب، دوما ما يطرحون سؤالًا مشتركًا: «كيف تطورت الحضارة الصينية متخذة شكل الدولة إلى حضارة مستمرة لا ينقطع حتى الآن؟، « أشار الرئيس الصيني شي جين بينغ إلى أن الحضارة الصينية تتميز بخصائص من الاستمرارية؛ الابتكارية؛ الوحدة؛ التسامح؛ السلمية، وفي هذا الصدد، وبصفتي مدير المركز الثقافي الصيني بالقاهرة، أود أن أشرح للأصدقاء المصريين هذه «الخصائص الخمس المتميزة للحضارة الصينية»، وآمل أن يتمكن الأصدقاء من مختلف الأوساط من فهم الصين بشكل أفضل من منظور حضاري.

الاستمرارية

تماما مثل مصر، البلد العظيم الذي أعمل وأعيش فيه حاليا والذي يتمتع بالحضارة العريقة المشرقة الممتدة من ٧٠٠٠ سنة، طورت ودشنت الصين أيضا حضارة مبهرة عبر تاريخها الطويل لأكثر من ٥٠٠٠ سنة، فالحضارة الصينية استمرت منذ العصور القديمة ولم تنقطع أبدا، لذلك تتميز

«بالاستمرارية» وهي المرتبة الأولى من بين خصائصها الخمس.

منذ عام ٢٠٠٢، أطلقت الصين مشروع تتبع أصول الحضارة الصينية - برنامج أكاديمي طويل الأمد لاستكشاف أصل الحضارة الصينية ودراسة تطورها المبكر- -بأساليب البحث المتعددة مثل العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وقد حققت إنجازات أولية ومرحلية خلال أكثر من ٢٠ عام، بدعم من وزارة العلوم والتكنولوجيا والهيئة الوطنية العامة للآثار والهيئات الأخرى الصينية، قام ما يقرب من ٤٠٠ خبير وباحث صيني وأجنبي بأبحاث مشتركة حول القضايا الرئيسية، بحيث أظهرت أن تاريخ الصين يمتد عبر ملايين السنين من تاريخ البشرية، ويشمل ١٠٠٠٠ عام من الثقافة وأكثر من ٥٠٠٠ عام من الحضارة.

تتحلى الحضارة الصينية بالاستمرارية البارزة، الأمر الذي يحدد بشكل أساسي أن الأمة الصينية تتبع حتماً طريقها الخاص، وإذا ما تم التعرف على الصين من منظور استمراريتها الممتدة تاريخيا، فإن من المستحيل أن تُفهم الصين القديمة والحديثة، ناهيك عن الأخرى في المستقبل .

الابتكارية

تقف الأهرامات وأبو الهول شامخة وسط رمال الصحراء الصفراء الشاسعة، وما زالت رمزًا للحضارة حتى يومنا هذا، وتجذب السياح من جميع أنحاء العالم، كذلك دفعت الحضارة الصينية مسيرة الحضارة الانسانية إلى الأمام بشكل كبير بأيديولوجيتها العظيم وإنجازاتها الثرية في مجالات التكنولوجيا والثقافة والفن، وابتكارها الفريد في النظام الاجتماعي، وتألقت طبيعتها الابتكاريه على مدى نهر التاريخ الخالد.

على مدار آلاف السنوات، من مدارس الفكر في عصر ما قبل الأسرة تشين إلى تشكيل النظام النظري الاشتراكي بخصائص صينية، من نموذج الإنتاج الزراعي البدائي للصين القديمة إلى نظام اقتصاد السوق الاشتراكي بخصائص صينية، من الفكرة إلى التطبيق، من الفن إلى العلوم والتكنولوجيا، سعت الحضارة الصينية على مواكبة العصر والابتداع فى الأفكار والتقنيات والأنظمة والجوانب الأخرى باستمرار، ومن ثمة حافظت دائما على الحيوية، لقد أثبتت الحقائق أن الشعب الصيني شعب يتمتع بروح إبداعية عظيمة، وأن الحضارة الصينية حضارة ذات ميزات ابتكارية وجريئة.

حيث تتحلى الحضارة الصينية بالابتكارية البارزة، الأمر الذي يحدد بشكل أساسي روح التقدم للأمة الصينية، والتي تتمثل في التمسك بالطريق الصحيح وعدم التشبث بالأساليب القديمة، واحترام القديم وعدم الرجوع إلى الأساليب في الأوقات القديمة، الأمر الذي يحدد المزايا الشجاعة للأمة الصينية، والتي تتمثل في عدم الخوف من التحديات الجديدة والجرأة على قبول الأشياء الجديدة.

الوحدة

أن الصين دولة موحدة ومتعددة القوميات، حيث تتنوع القوميات الـ٥٦ فيها وتتحد، وتتلاحم وتتمازج، وتعانق بعضها البعض بشدة كبذور الرمان، مما

شكل المجتمع المشترك للأمة الصينية المتميز بالتعاون، لقد طوروا معًا الجبال والأنهار الرائعة في الصين وحدودها الشاسعة، وخلقوا معًا تاريخًا صينيًا طويلًا وثقافة صينية رائعة، فإن تاريخ الصين هو تاريخ اندماج جميع القوميات إلى أمة صينية متكاملة، وهو تاريخ بناء الوطن الأم العظيم وتطويره وتعزيز وحدته من قبل جميع القوميات الصينية بشكل مشترك.

حيث تتحلى الحضارة الصينية بالوحدة، الأمر الذي يحدد بشكل أساسي أن ثقافات كافة قوميات الأمة الصينية تندمج في كيان واحد، وتظل متماسكة بقوة حتى ولو واجهت نكسات كبيرة، ويحدد العقيدة المشتركة الداعية إلى عدم إمكانية تجزئة أراضي الوطن واضطراب الدولة وانفصال القوميات وانقطاع الحضارة، حيث يعتبر توحيد الوطن بمثابة نواة المصالح الجوهرية للصين على الدوام، ويحدد أيضاً أن الدولة القوية والموحدة هي التي ترتبط بمصير أبناء الشعب من كافة القوميات.

التسامح

لقد عملت في مصر لسنوات عديدة وزورت الأهرامات المشهورة عالميا، ومسجد الأزهر المهيب، والكنيسة القبطية المعلقة الرائعة وغيرها، وشهدت وعجبت تسامح مصر للحضارات المختلفة، كما اشتهرت الحضارة الصينية بانفتاحها وتسامحها منذ العصور القديمة، واكتسبت حيوية جديدة من التبادلات والتعلم المتبادل مع الحضارات الأخرى باستمرار.

في مارس الماضي، اقترح رئيس الصين شي جين بينغ مبادرة الحضارة العالمية، وفي إطار المبادرة، دعا شي إلى احترام تنوع الحضارات، والدفاع عن القيم المشتركة للإنسانية، والتقدير الشديد لميراث الحضارات وابتكارها، والتدعيم المشترك للتبادلات الشعبية والتعاون على الصعيد الدولي. الأمر الذي لاقى أصداء واسعة من أنحاء العالم، حيث تولي المبادرة أهمية بالغة لاحترام تنوع الحضارات العالمية، وتصر على المساواة والتعلم والحوار والتسامح بين الحضارات، وتدعو الصين بلدان العالم بصدق وإخلاص إلى واحترام تنوع حضارات العالم، وضمان تجاوز سوء الفهم الحضاري من خلال التبادلات بين الحضارات، والتغلب على الاختلافات الحضارية من خلال التعلم المتبادل، والترفع عن أفكار التفوق

الحضاري من خلال التعايش بين الحضارات، نحن نؤمن إيمانا راسخا بأن الحضارات تتواصل بسبب تنوعاتها، وتتعلم من بعضها البعض من خلال التبادلات، وتتطور بالتعلم المتبادل.

حيث تتحلى الحضارة الصينية بالتسامح البارز، الأمر الذي يحدد بشكل أساسي الاتجاه التاريخي للتواصل والتبادل والترابط للأمة الصينية، ويحدد الوضع المتناغم الذي تتعايش فيه المعتقدات الدينية المختلفة في الصين، ويحدد العقل المفتوح للثقافة الصينية لضم كل ما يفيدها من الحضارات العالمية .

السلمية

من طريق الحرير القديم الممتد منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام إلى بناء المجتمع الصيني العربي للمستقبل المشترك في العصر الحديث، ظل السلام والتعاون والانفتاح والشمول والتعلم المتبادل والاستفادة المتبادلة والمنفعة المتبادلة والكسب المشترك عنوانا رئيسيا للتواصل الصيني العربي، حيث تستلهم الحضارة الصينية والحضارة العربية الحكمة من الحضارة العريقة للجانب الآخر، وتنشر سويا المغزى الحقيقي للحضارة ألا وهو «الاهتمام بالسلام والدعوة إلى الانسجام والالتزام بالتعهدات والسعي وراء الحق».

لطالما تؤمن الحضارة الصينية بفلسفة «التعايش السلمي مع الدول المجاورة» و»الحفاظ على الوئام مع إبقاء الاختلاف»، إن فكرة حب السلام متأصلة بعمق في روح الأمة الصينية، قد امتزج السلام في دماء الأمة الصينية، وتناقل عبر جينات الشعب الصيني، وشكل الطابع السلمي للأمة الصينية التي تقدر السلام والخصائص المتسامحة لكل ما يحيط بها، ظلت أفكار السلام والوئام والتناغم هي ما تدعو الأمة الصينية إليه وتتوارثه على مدى أكثر من خمسة آلاف عام، وليس في دماء الأمة الصينية أي جين من جينات السعي إلى العدوان والهيمنة.

حيث تتحلى الحضارة الصينية بالسلمية البارزة، حيث تساهم الصين في بناء السلام العالمي والتنمية العالمية وحماية النظام الدولي، وتتجه الصين إلى التبادلات بين الحضارات والاستفادة منها باطراد بدلاً من ممارسة الهيمنة الثقافية، ولا تفرض وجهات نظرها حول القيم ونظامها السياسي على الآخرين،

وتتمسك الصين بالتعاون ولا تنخرط في المواجهة، ولا تشكل دائرة صغيرة تفضل المتواطئين وتهاجم أولئك الذين يختلفون.

ومن ثم يتضح أن التعايش الشامل والتعلم المتبادل بين الحضارات المختلفة يقوم بدور لا غنى عنه في تعزيز مسيرة تحديث المجتمع البشري، وجعل حضارات العالم نابضة بالحياة، حيث شكلت العديد من العناصر المهمة للثقافة الصينية التقليدية الخصائص المتميزة لحضارتها، وشهدت الحضارة الصينية العريقة التحول الإبداعي والتطوير المبتكر في التاريخ العالمي، ونجحت في إيجاد طريق التحديث الصيني النمط الفريدة في موجة التحديث الدولية، وفي الوقت الراهن الذي يرتبط فيه مستقبل ومصير جميع بلدان العالم بشكل وثيق، ستسعى الصين باستمرار على بناء الحضارة الحديثة للأمة الصينية ودفع مسيرة التحديث الصيني النمط إلي الأمام بعزيمة لا تتزعزع، في سبيل اكتشاف طرق جديدة للتطور البشري وتقديم الحكمة والحلول والقوة الصينية لإثراء وتطوير الحضارات البشرية وتعزيزالقضية النبيلة المتمثلة في السلام والتنمية للبشرية.